الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم
كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي أنموذجا

Rhetorical miracles in the Holy Quran
Book of references to miracles in the manifestations of brevity Nawrasi model

بن سعدي حورية
أ. د. شريط الأخضر
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر.
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر.
البريد الإليكتروني: tasbih928@gmail. com
مخبر الانتماء. خبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/30/20 تاريخ القبول:2020/06/04 تاريخ النشر: 2020/06/17

ملخص:

لا يخفى أنّ إعجاز القرآن الكريم احتلّ حيزا واسعا في شريعتنا وكان محل نظر وإمعان، ولازال لحد الساعة كذلك، واهتمت به الأوساط الدينية والعلمية واللغوية كل حسب تخصصه، بكل دقة من حيث انتظامه وأسراره وفوائده، وما تقع على عاتق كل تلك الآيات من واجبات ومهام، ودين الإسلام - خاصة بين الأديان- قد وضع بصمته في الاهتمام بها في جميع التخصصات، وقد قام بديع الزمان سعيد النورسي بحل ألغاز كثيرة وتوضيح إشكالات عديدة خاصة في الجانب اللغوي، محاولا تطبيق نظرية النظم للجرجاني تطبيقا شاملا من حيث المباني والمعاني، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية، للكشف عن تفاصيل المنظومة القرآنية التي بها يظهر الإعجاز، وتتكشف دقائق خصائص الأسلوب القرآني التي حيّرت البلغاء، وأخرست الفصحاء، ليحق عليهم التحدي المعجز إلى يوم القيامة. وهذا البحث المتواضع محاولة لإبراز هذا الجهد الذي يرد على إشكالات كثيرة وشبهات مثيرة، فدرسنا أوجه الإعجاز في القرآن الكريم خاصة البلاغية منه وأبرزنا المكانة العلمية والأدبية لهذا العلم الشامخ رجاء أن يفيد الجميع، ويجعل قارئه على بصيرة بالأوجه الأخرى للإعجاز القرآني.

الكلمات المفتاحية:

الإعجاز البلاغي; القرآن الكريم; النورسي; الإشارات العلمية; نظرية النظم.

ABSTRACT:

No two would disagree about the most significant role the inimitability of the Koran played in our religion. It had been and it is still one of the most important areas ever. Men of religion ،scientists and even linguists talked it ، each from a window related to their domains ،with perfection dealing with its organization ،secrets ،mysteries and benefits ،duties and responsibilities in Aayat. Islam among other religions had left its finger prints talking and analyzing things in numerous specialities. Badie "Ezzamane Said El Nourci"(May god have mercy on him) had clarified many difficult linguistic issues applying the theory of "Djerdjani" without neglecting lexis or sense ، linguistic ،mental or gustatory knowledge.

To shed light on the very small details in the holy book "Koran" revealing its perfection and selective correct language that had surprised well-spoken ،eloquent and the most fluent people till Judgement day. This humble work and small research is a trying where we seek to explain different unclear and difficult issues. Thus ،we are here trying to analyse the holy book from linguistic side to show its scientific and literal perfection aiming at providing reliable data and paving the way to start looking at other sides in "Koran".

Keywords: ***Rhetoric inimitability; the holy Koran; El Nourci; scientific signs….*** .

1. مقدمة:

أجمع علماء الإسلام على أنّ القرآن معجز، لكنهم اختلفوا في وجوه إعجازه؛ فعند بعضهم يكمن إعجازه في إخباره بالغيب، وعند بعض آخر يتمثل في جمعه للحقائق والعلوم، بينما يرجع آخرون ذلك إلى غرابة أسلوبه وبديعيته المتمثلة في مقاطع وأوائل السور والآيات. أما الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (1876 – 1960) فيرى أنّ إعجاز القرآن يتمثل في بلوغ بلاغة نظمه إلى درجة تفوق طاقة البشر، والأستاذ النورسي إنّما يصدر حكمه ذلك من ثقافته في لغة العرب، وتبحّره في نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها ونثرها، وتعمّقه في العلوم الحديثة من طب وفلك وجغرافيا، فهو رجل متعدد المناهل والمشارب، مما يجعله أهلا لأن يسهم في بيان أوجه كثيرة من إعجاز القرآن الكريم التي لا تحصى.

هذا، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الإمام النورسي تصدّى بحقائق القرآن الكريم لدوّامات التخريب التي أثارتها أعاصير الإلحاد الهوجاء، والتي لبّدت سحبها سماء الأرض، فطفقت البشرية تلبي نداء كل ناعق متمرّد لتمتطي صهوة أهوائها وشهواتها التي دارت بها في رحى المادية والحيوانية. وذلك في زمن أثارت فيه مسألة الإعجاز في القرآن الكريم كمّا هائلا من التساؤلات والشكوك في الجانب العلمي والبلاغي، وهذا البحث محاولة علمية للبحث في أوجه الإعجاز الكثيرة اللغوية منها والعلمية والجمالية، منطلقين من الإشكال التالي: ما طبيعة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند النورسي؟ وما الجديد الذي أضافه على نظرية النظم؟

ومن الآثار العلمية التي خلّفها النورسي كتاب "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" وهو عبارة عن نظرات في كتاب الله، تنم عن بصيرة نافذة ومعرفة كلامية، وبلاغية عميقة، وذوق رفيع ومنهج عقلي سديد، فجاء هذا البحث المتواضع محاولة لرصد ما ترامى إلى ذاكرة النورسي رحمه الله، من مقولات السابقين ومدى إضافاته ليمتاز التليد من الطارف في آراءه، ثم تقييم هذا الطارف لمعرفة قيمته، وأثره في مجال العلم الشريف الذي ندرت فيه الاجتهادات، ثم الحكم على هذه الاجتهادات، أترتقي بصاحبها إلى مستوى المجددين في العلم؟

اقتضت طبيعة البحث أن أتبع المنهج التحليلي الذي يعتمد على عرض وتحليل المسائل البلاغية التي اعتمد عليها النورسي في كتب البلاغيين، بهدف الكشف عن نظرته الثاقبة عن الإعجاز في نظم القرآن، التي لم ينسج على منواله أي تفسير، نافذا من خلالها إلى عام التجليات الرحمانية.

2. مجمل نظرة النورسي للقرآن الكريم.

لا شك أنّ الإمام النورسي اطلع على ما في التراث البلاغي من كتب في البلاغة، لا سيما نظرية النظم. وتظهر للوهلة الأولى نظرته لإعجاز القرآن الكريم من خلال تعريفه للقرآن الكريم إذ يقول: «القرآن الكريم هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبيرة، والترجمان الأبدي لألسنتها المتنوعة التالية للآيات التكوينية، ومفسر عالم الغيب والشهادة، وكذا هو كاشف لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المستترة في صفائح السماوات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات، وكذا هو لسان عالم الغيب في عالم الشهادة، وكذا خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة هذا، وكذا هو شمس عالم الإسلام المعنوي وأساسه وهندسته... وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه»[1].

وواضح أنّ هذا التعريف على عدة محاور منها:

1- أنّه معبر عن جميع الكائنات في الكون من حيث ماهيتها ومصيرها ووظيفتها، وهي في عبودية وتوحيد دائمين لقوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[2]

2- تضمّنه لوجوه إعجازية كثيرة، فهو المخبر عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وسيأتي الحديث عنها فيما بعد، لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [3]

3- هو المخاطب لجميع البشر على اختلاف طبقاتهم ابتداء من العامي إلى العالم، فهو شامل بدلالاته وإشاراته لأنواع الكلام، وإيجازه يحوي إشارات وإيماءات تلمحها جميع طبقات البشر، كلّ على حسب فهمه وعلمه.

4- أنه مصدق للكتب السماوية ومحتو لها لقوله تعالى: ﴿ما فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾[4] وإنّ الوجه البلاغي في إعجاز القرآن الكريم هو صناعة المحققين على خلاف الوجوه الأخرى التي يدركها العوام والخواص، لهذا يُفهم اشتراط النورسي للملكة البلاغية العالية، إذ أنّ مباحث البلاغة العربية ارتبطت ارتباطا وثيقا وظيفيا وعضويا وتاريخيا بإعجاز القرآن، فهو يرى أنه خلاصة اللطائف البلاغية والنكت الجمالية. وفي سياق تفسيره لسورة البقرة يقول: «إن الإعجاز قد تنفس من أفق ﴿آلم﴾ لأن الإعجاز نور يتجلّى من امتزاج لمعات لطائف البلاغة»[5].

فاللمسات البلاغية والأسرار الجمالية هي منبع الإشراق ومصدر انبثاق العلوم، ولعل في تشبيه النورسي للإعجاز بالنور المتجلي ما يوحي بأنّ بلوغ مكمن النكت البلاغية من خصوصيات ناظر أمين، لا يكتفي بالنظرة العابرة العجلى، ذلك لأنّ اللطائف مما دق سبيله ولطف مسلكه، فهي إشارات وإيماءات خاطفة لا يراها إلاّ الحاذق الماهر بفن البلاغة وأصولها. ويعتقد النورسي أنّ المقصد الحقيقي من إعجاز القرآن هو نظم القرآن فيقول: «الإعجاز يتجلّى في نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم»[6]، ويعرف النورسي النظم قائلا: «ونظم المعاني: عبارة عن توخي المعاني النحوية فيما بين الكلمات، أي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة».[7]

وبهذا التعريف ينهج النورسي نهج الجرجاني، حيث يمضي في تفسير الآية وينظر إلى مقامها وتناسق ألفاظها وتعلق بعضها ببعض، وتناسب الآية مع سوابقها ودلالة اللفظة في سياقها، لأنّه درس نظرية النظم عند الجرجاني، دراسة متقنة.

ولبيان إعجاز القرآن استخرج النورسي من قواعد البلاغة عدّة مسائل هي:

1- منشأ نظم الكلام: لا يمكن تصوّر جمال اللّفظة بعيدا عن تركيبها مخالفة لسياقه، لأنّ هذا يعتبر انحرافا عن طبيعة البلاغة الناتج عن اختلاط العرب بالأعاجم، فحوّلوا الذوق البلاغي من مجراه الطبيعي الذي هو نظم المعاني إلى صنعة اللفظ.

2- السحر البياني وأثره في اللفظ: يقول النورسي: «إن السحر البياني إذا تجلّى في الكلام صيّر الأعراض جواهر، والمعاني أسماء والجمادات ذوات أرواح والنباتات عقلاء، فيوقع بينها محاورات قد تنجرّ إلى المخاصمة، وقد تُوصِل إلى المطايبة، فترقص الجمادات في نظر الخيال»[8]. ويتحدّث النورسي في هذه المسألة عن المجاز حين يلبس لباس الحقيقة فيكون أسلوبا من أساليب الإعجاز، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾[9]، إذ أن تشبيه السحاب المحمّل بالبرد والماء والثلج بالجبال صورة بديعة.

3- أثر الأسلوب في كمال الكلام وجماله: يشير النورسي إلى أثر أسلوب التمثيل في كمال الكلام وجماله المستخدم في القصص القرآني حيث يجسد الماضي في الحاضر، والمعقول محسوسا، والمعنى جسما.

4- أخذ الكلام بحجز بعضه: يرى النورسي أن القرآن كله يتلألأ بسبب الانتظام والتناسب الذي به يكون الحسن والجمال الذاتي، وهذا يدل على أنّ القرآن بالرغم من أنه نزل متفرقا لأسباب متفاوتة، تحقيقا لمقاصد مختلفة، إلاّ أنه يصبّ في مقصد واحد جامع لكل أحكام القرآن وأسباب نزوله ومقاصده.

5- أنواع المعاني ومراتبها: صورة المعاني متفاوتة بتفاوت مفاهيم الأشخاص، تفهم تارة بالدلالة وتارة بالإشارة وتارة أخرى بالإيحاء، ويحيلنا النورسي إلى طبيعة المواقف الخطابية وما تتضمنه من جوانب غير منطوقة، قد تكون شعورية محسوسة كالتحسّر والتّأسف والاشتياق، مثلا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾[10]، نجد الحسرة على النذر الذي نذرته لخدمة المسجد وغالبا ما كانت من وظيفة الأولاد، وخوفا من أن لا يتحقق النذر لأنّ الأنثى لا تطيق المشاق، واعتذارا من ربها كونها طلبت ذكرا ونذرته للعبادة.

6- الحقيقة والخيال: يتحدث النورسي في هذه المسألة عن فلسفة البيان التي تملك بذورا من الحقيقة.

7- تغير معاني الحروف حسب المقام والغرض: تحدث النورسي عن حروف الجر، وأنّ لها عديد المعاني، وقد تنوب عن حروف أخرى.

8- أنواع الأساليب البيانية: يقول النورسي: «اعلم أنّ الأساليب البيانية ثلاث أنواع: أحدها الأسلوب المجرّد، الذي لونه واحد، وخاصته الاختصار والسليقة السليمة والاستقامة، فهو أملس سوي، ومحل استعماله المعاملات والمحاورات والعلوم الآلية (...) والثاني: الأسلوب المزيّن، وخاصته التزيين والتنوير، وتهييج القلب بالتشويق أو التنفير، والمقام المناسب له هو الخطابيات كالمدح والذم والإقناعيات ونظائرهما، وإذا تحريت المثال فادخل في دلائل الإعجاز تر فيها جنانا مزينة، والثالث: الأسلوب العالي، وخاصته الشدة والقوة

والهيبة والعلوية الروحانية، ومقامه المناسب الإلهيات والأصول والحكمة وإن شئت مثلا بيّنا وتمثالا معجزا فعليك بالقرآن»[11].

3. أوجه الإعجاز القرآني عند النورسي.

تحدث النورسي عن أوجه عديدة لإعجاز القرآن الكريم نذكر منها:

3. 1. الإعجاز البلاغي:

نزل القرآن في زمن بلغت البلاغة فيه قمة مجدها وتربعت على عرش مفاخر العرب، وكانت البلاغة أرغب متاع في أسواقهم، وجاء القرآن مماثلا لما كانت عليه معجزات الأنبياء، من جنس ما كان رائجا في أزمانهم، فنزل متحدّيا ببلاغته بلاغة عصره وكل العصور التالية، فتحداهم وكسر غرورهم، ويعتبر النورسي الإعجاز البلاغي أهم الأوجه في قوله: «إن إثبات النبوة بالمعجزات، وأعظم المعجزات هو القرآن، وأدق وجوه القرآن ما في بلاغة نظمه»[12].

ويأتي الإعجاز البلاغي في القرآن عند النورسي في أربع صور حيث يقول: «هذه البلاغة المعجزة نبعت من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها»[13].

كان النورسي يمعن النظر والفكر في تناسب الكلم، وتعلق بعضه ببعض، ويدقق في العلاقة بين الألفاظ، ويركز على دلالة اللفظة في سياقها، وهو ما يعرف عند البلاغيين "بالمعنى ومعنى المعنى"، وعند النورسي "بالنقش الأعظم"، ويشير إلى ذلك في كل السور التي فسّرها، والتي يبيّن فيها الجزالة والمتانة في النظم، فكان منهجه فيه: البدء بمقدمة يجعلها مدخلا لتفسير الآية أو الآيات، ثم يبيّن بعد المقدمة نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات داخل الجملة الواحدة، وأحيانا يأتي بنظم الحروف داخل الكلمات، وليزيدنا النورسي توضيحا لفهم النظم يشبهه بعقارب السّاعة فيقول: «كما أن عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات، يكمل كل منها نظام الآخر، كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل في اتجاه الآخر»[14].

- الصورة الثانية هي البلاغة الخارقة في معناه، فإذا تذوقنا بلاغة المعنى في القرآن؛ فإن الأسماع و القلوب تقرع وتعود للفكر روحه، وللقلب حياته، وللروح قيمتها، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾[15]؛ نجد البلاغة الخارقة في المعنى، فلك أن تتخيل كل المخلوقات وهي تسبح الخالق سبحانه عز وجل، تدب فيها الروح والسماء والأرض تنبضان بالحياة.

- الصورة الثالثة هي البلاغة الخارقة في أسلوبه، ففي القرآن الكريم أكثر من شكل تعبيري من خطاب وحوار وقصة، فيأتي الأسلوب على أنماط مختلفة، وأشكال متباينة، من الأمر والنهي إلى الزجر والوعظ، والترغيب والترهيب، وكلها تلتقي في أهدافها من التأثير على عقل السامع وقلبه ووجدانه، لذا جاءت أساليبه مباينة لأساليب البلغاء، ففي القصص القرآني عبر كثيرة وإشارات عديدة نلمسها في القرآن الكريم، فقد تتجسد سورة طويلة في قصة وقد تندرج قصة في آية رمزا.

_الصورة الرابعة هي البلاغة الخارقة في لفظه، إذ يقول النورسي: «إن القرآن الكريم معجز، وإعجازه في فصاحته»[16]، فكما أنه بليغ خارق في أسلوبه ومعناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه، والدليل على ذلك أنّه لا يثقل على ذهن صبي، ولا تسأم منه أذن كونه غذاء القلوب وقوة العقل وضياء الروح. ويورد النورسي مثالا للفصاحة في آية كريمة تظهر فيها جميع الحروف الهجائية، وأجناس الحروف الثقيلة وهي في غاية السلاسة على اللسان، تتجلى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[17].

ويقول: «لقد جمعت هذه الآية جميع حروف الهجاء وأجناس الحروف الهجائية، ومع ذلك لم يفقدها هذا الجمع سلاستها، بل زادها بهاء إلى جمالها، ومزج نغمة من الفصاحة نبعت من أوتار متناسبة متنوعة، حيث وضعت هذه الحروف بوضع منتظم خارق، مع مناسبات خفية، وانتظام جميل، ونظام دقيق، وانسجام لطيف تثبت بيقين جازم أنه ليس من صنع البشر ولا يمكنه أن يفعله»[18]، فإذا قرأنا هذه الآية ألف مرة نجدها في غاية السلاسة، كما أنّها لا تولّد السأم والملل بسبب التآلف الصوتي في نظم الحروف ورصفها، وترتيبها وصياغتها وإيحاءاتها التي تسترعي الأسماع، وتستهوي النفوس بطريقة لا يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.

2.3. جامعية القرآن وخطابه لجميع البشر:

تتمثل جامعية القرآن وشموليته في نظر النورسي في أنّ معاني القرآن شاملةٌ، وعامة أفاض منها جميعُ الإنس والجن، ألفاظُه وُضعت وضعا بحيث تكون له وجوه كثيرة تمنح كل قارئ حظه ونصيبه من أبواب مختلفة، علمُه يحوي جميع العلوم المتعددة، وما تلك العلوم إلاّ قطرة من بحر القرآن، مباحثُه شاملة جامعة لكل ما في الكون من الأزل إلى الأبد، أسلوبُه جامعٌ شامل بدلالاته وإشاراته لأنواع الكلام، إيجازُه يحوي إشارات وإيماءات يلمحها جميع طبقات البشر، كلٌ على حسب فهمه وعلمه، مقاصدُه ومسائله ومعانيه وأساليبه ولطائفه ومحاسنُه تجتمع في موضع واحد دون أن ينشأ منه اختلاطُ واختلال نظامه.

ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه يستفيد منها العامي والمتعلم، القارئ والمستمع، العربي والأعجمي ينهل من فيضه جميع العلماء على اختلاف علومهم، ويذكر النورسي عدة أمثلة لبيان هذا الوجه، فمثلا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[19]

وقد استنبط النورسي وجها آخر من وجوه الإعجاز وهو مخاطبته لجميع الطبقات في جميع العصور، وقد نظر في الحرف الواقع في القرآن، وأدرك أنّ له دلالات متعددة، ففي قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي

لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[20]، يبيّن النورسي أنّ هذا الكلام «يفهمه العوام: (إلى)، أي أنّ الشمس تجري إلى مستقر لها وستبلغه يوما، ويفهمه الفلكيون بمعنى (في)، أي أنّ الشمس تنظم حركة مجموعتها بحركة محورية حول نفسها، وقد يفهمها العالم المدقق بمعنى العلة بمعنى الظرفية في آن واحد، أي أنّ الشمس تجري في مستقر لها لاستقرار منظومتها، لأنّ الحركة تولّد الحرارة، والحرارة تولد القوة، والقوة تولد الجاذبية التي تجعل كلا في موضعه»[21]، وقد ذكر الرازي المعنى الأول أي أنّ الشمس تجري إلى مستقر لها وزاد عليه معنى آخر وهو أنّ اللام للوقت كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾[22]، ثمّ ذكر الرازي رأي علماء الفلك والفلاسفة قائلا: «إنّ أصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس، فالشمس تجري مجرى مستقرها، وقال الفلاسفة تجري لمستقرها أي لأمر لو وجدها لاستقر»[23]. هذا ما يفهمه جميع طبقات البشر من معنى الحرف فكيف باللفظة في جملتها؟ بل كيف بالجملة في آيتها؟ بل كيف بالآية في سورتها؟ بل كيف بالسورة في مجمل القرآن الكريم؟ فمن يتدبّر القرآن ويتأمّل سوره، ويدقق في آياته ويمعن النظر في ألفاظه، يقف حائرا أمام عظمة القرآن قائلا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [24].

3. 3. الإعجاز بالغيب:

يرى النورسي أنّ التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يُعلمك بإشاراته ورموزه، ويفصل الإعجاز الغيبي تفصيلا دقيقا، ويرى أنّ الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم لا يقتصر على آيات محدّدة، بل فيه آلاف الإشارات الغيبية لحوادث مستقبلية ذكرها القرآن الكريم بطريق الرمز أو الإشارة أو بطرق أخرى، مما يُثبت إعجازَه على مرّ العصور، يقول: «فالإخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، لذا فإنّ حصر أهل الظاهر تلك الاخبارات الغيبية في أربعين أو خمسين آية فقط، إنّما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي، بينما في الحقيقة هناك ما يربوا عن الألف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة أخبار غيبية»[25]. والوجوه الأربعة لهذا الوجه (الإعجاز الغيبي) هي:

أ- إخبار القرآن عن غيب الماضي:

يخبرنا القرآن عن الأمم السابقة منذ آدم عليه السلام إلى نزول القرآن من أمّي لا يعرف القراءة والكتابة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[26]، وإخبار القرآن الكريم عن وقائع الماضي ليس أمرا عقليا حتى يخبر عنه العقل، بل هو أمر نقلي متوقف على السماع، ويخبرنا النورسي عن معنى الإخبار عن الماضي بواسطة بعض الأمثلة التي ساقها لبيان هذا الوجه، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[27]، يقول النورسي تحت تفسير هذه الآية: «يخبرنا القرآن عن أعجب حادثة ماضية وغيبية، مثبتا تلك الحادثة وكأنّها تحدث أمامنا، بما يخلق من مثيلاتها ونظائرها على وجه الأرض، وبخاصة عند حلول فصل الربيع الذي نجد فيه عيانا أكثر من مائة ألف كمثال على الحشر لأكثر من مائتي ألف نوع من النباتات، وأمم الحيوانات التي تُخلق وتنشأ في بضعة أسابيع فقط»[28]، وقد أثبت النورسي

بالأمثلة كثرة الاخبارات الغيبية في القرآن، والتي لا يمكن حصرها، بل هناك إيماءات وإشارات خفية من باب الإخبار الغيبي.

ب- اخبار القرآن عن أخبار المستقبل:

أخبرنا القرآن عن حقائق مستقبلية على لسان الحبيب المصطفى كهزيمة أعدائه، وغلبة الروم ودخول بيت الله الحرام، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[29].

يقول النورسي: « تفيد الآية الكريمة بأسلوب معجز إشارة غيبية إلى أنّ الجسد الذي اكتشف في العصر الأخير، هو نفسه جسد فرعون الذي غرق، فكما ألقى به الساحل في الموضع الذي غرق فيه فسيلقى به كذلك»[30]، وقد أشار النورسي إلى أنّ هذا الإعجاز هو إخبار عن المستقبل، في حين فسّرها الآخرون أنها إخبار عن الماضي.

ج- إخبار القرآن عن الحقائق الإلهية والأمور الكونية:

يخبرنا المولى عز وجل عن الحقائق الإلهية والأمور الكونية، وهي أمور غيبية فتحت طلسم الكون فلا يمكن لأي أحد، مهما وصل درجة من العلم، أن يصل إلى هذه الحقائق بعقله، ويبدؤها النورسي بفاتحة الكتاب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، هذه الآية التي كلّها توحيد، وصفة الرحمة تدل على الصفات العينية التنزيهية والصفات الغيرية الفعلية وهي: العلم والقدرة والإرادة والبقاء والبصر والسمع والكلام.

والحقائق العلمية والإلهية لها إشارات كونية دالة على وجودها في الطبيعة، ولابدّ لها من منهج علمي دقيق يوضّحها ويقنع بها الرافضون لها بلغتهم ومنهجهم، وكان النورسي من بين الذين رفعوا لواء التحدّي في إثبات الحقائق الإيمانية على أساس من الحقائق العلمية الثابتة، أو بالنظريات السائدة أو بالفرضيات القابلة للدراسة العلمية،. وعليه تعمّد الأستاذ النورسي إيراد الإشارات الطبيعية من الآيات التي أثيرت فيها الشبهات ليرد على المشككين، خاصة الغرب بلغتهم وبلسانهم العلمي، يقول: «إنّ كل آية من الآيات الواردة في هذه الرسالة إمّا أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها أهل العلوم الحديثة أو مسّتها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهم»[31].

ويوظف الأستاذ النورسي خياله لتدعيم حججه؛ فيتخيل سائحا يسأل الموجودات في الكون عن خالقها انطلاقا من قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَنۡ فِيهِنَّۚ وَإِنۡ مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[32]، فيسأل السماوات والأرض والبحار وغيرها من مخلوقات الكون، ويعرض دلالتها على الخالق سبحانه، وبعدها إلى عالم الإنسان ثمّ عالم الملائكة، فعالم الغيب والشهادة، فالبرزخ، فالقبر، فالنبي صلى الله عليه وسلم بأوصافه وأقواله وأفعاله. وحين يصل إلى القرآن الكريم يجد هذه الشهادات كلها مدوّنة فيه وبالتفصيل والتنظيم والتدقيق، لقد تناول الأستاذ النورسي الإشارات العلمية في الطبيعة والكون والعالم وعلاقتها بالإنسان والغاية من وجودها بطريقة جديدة، نلمسها من خلال العلاقة الحميمة والألفة الميتافيزيقية بداية بالذرات إلى المجرات، ويجتاز المنظور المحسوس إلى ساحة الغيب والميتافيزيقا، يتحدّث مع البصر ويحاور البصيرة القادرة على تجاوز المعقول إلى

المحسوس، يمر بعالم الملائكة، الموت البعث النشور، والأجمل أنّه يدخل الجنّة ليذيق النفس البشرية طعم السعادة الأبدية بلغة القرآن والبرهان.

د- إخبار القرآن عن الحقائق الأخروية والبرزخ:

إنّ عقل الإنسان لم يدرك أحوال الآخرة والبرزخ بمفرده ولا يراها، إلاّ أنّ القرآن الكريم بيّنها وفصّلها وأثبتها إثباتا يصل لدرجة المشاهدة، كما في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَار﴾[33]، يقول النورسي: « هذه الآية مع ما قبلها إشارة إلى القيامة والحشر»[34]، وبهذا يُظهر النورسي مفهوم الإعجاز الغيبي، وقد كان مولعا بالكشف عن الجديد من أسرار القرآن الكريم، وقد حاول البحث عن كل سلاح يقوي به أبناء عقيدته في مواجهة التيار الجارف للإلحاد، المُشكّك في القرآن وقدسيته، وهذا ما جعل باب الإعجاز مفتوحا إلى يوم القيامة، وأنّه يمكن للخلَف أنْ يضيف لما قدّمه السلف حسب التطور العلمي.

4.3. الإعجاز التشريعي:

المقصود بالتشريع سنّ القوانين والأحكام التي تنظم حياة الناس، فتبينُ لهم حقوقهم وواجباتهم والمقصود بالإعجاز التشريعي: إظهار جوانب تفوق مجموعة التشريعات التي سنّها الله عز وجل في القرآن، وهي خارقة للعادة مقرونة بالتحدي، أظهرها الله تأييدا لدعوى الإسلام والنبوة، مع عجز الفكر البشري عن التبصر مسبقا بمقاصد أو الإتيان بمثلها[35]، وقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظم شملت كافة مجالات الحياة، سواء ما يخص الفرد أو الجماعة، أو الجانب العقدي، أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، فجاء من الأزل إلى الأبد.

3. 5. الإعجاز بالفذلكة.

المقصود بالفذلكة مجمل ما فصّل وخلاصته[36]، وخلاصة الآية أي إجمال القصة بعد التفصيل ويبدو أنّ النورسي يقصد بالفذلكات الفواصل القرآنية[37] التي أشار إليها سابقوه، لكنه قدّم مفهوما عاما وشاملا، يقول: «إنّ في الخلاصات والفذلكات التي في ختام الآيات لمعات إعجازية كثيرة، فضلا عمّا تترشح منها من رشحات الهداية حتّى بلغ بدُهاة البلاغة أنّهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذه الفذلكات»[38]. ويضرب النورسي أمثلة متعدد لهذا الوجه من الإعجاز نذكر منها:

أ- فذلكة تأتي متضمنة أسماء الله الحسنى، أو معانيها:

يبين النورسي أفعال الصانع الجليل ويبسط أعماله أمام النظر، ثمّ يستخرج منها الأسماء الحسنى ليثبت مقصدا من مقاصد القرآن الكريم، فمثلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سماوات وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[39]، ويبين النورسي أنّ كل ما في الكون هو انعكاس لأسماء الله الحسنى، فما من شيء إلاّ وهو مرتبط باسم من أسمائه الحسنى، ذلك لأنّ المولى عز وجل

متصرف في الكون خلقا وإيجادا، من حيث هو خالق، مصور، بديع، محي، مميت، رازق، مهيمن، رحمن، رحيم، وكل اسم من أسمائه عز وجل هو تجلّ من تجلياته في الكون.

ب- فذلكة تحيل قضاياها إلى العقل لتحثّه على التفكر والتدبر:

يمثّل النورسي لهذا الشكل بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[40]، وتبين هذه الآية أنّ القرآن الكريم بيّن وجود أشياء قد تتعرض للتغيير، يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والتدبر.

ج- فذلكة تتضمن قاعدة كلية ودستورا عاما من مقاصد القرآن الكريم.

ويمثل النورسي لهذا الشكل بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[41]، فالفذلكة أتت هنا لغرض الترهيب، وكثيرا ما تأتي الفذلكات في أواخر الآيات وهو ما يسميه البلاغيون بفواصل الآيات، فهي إشارات من حكمة الله سبحانه وتعالى.

3. 6. الإعجاز العلمي:

لقد وقف العلماء والمفسرون من الإعجاز العلمي مواقف متباينة، ولم يُكشف عنه الستار إلاّ في العصر الحديث، وقد شمل الدراسات التي تمّت في علوم التشريح والنبات والطبيعة والكون، وقد أدلى كلّ بدلوه في مجال تخصصه، فكيف لرجل أمّي قبل ألف وأربع مئة سنة أن يتحدّث عن أمور علمية دقيقة لم يكشفها العلم الحديث سوى في السنوات الأخيرة، وقد هدى الله عز وجل بهذا البيان علماء متخصصين في علوم شتّى للإسلام بعدما تبيّن لهم الحق من خلال هذا الإعجاز، وقد اتسعت دائرة هذا الطابع من التفسير في العصر الحديث، واعتبروه وجها من وجوه الإعجاز العلمي، ومن روّاده النورسي والطاهر بن عاشور[42].

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم عند النورسي احتواؤه على إشارات مجملة تتعلق بحقائق علمية مازالت تتكشف وتظهر من خلال التقدم البشري، ويلفت النورسي الأنظار إلى أنّ معجزات الأنبياء السابقين يمكن أن يؤخذ منها إشارات تشوق البشر، وتشجعهم على العمل للوصول إلى أشباهها، يقول النورسي: «كأنّ القرآن يمسح ظهر الإنسان بيد التشويق والتشجيع قائلا: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض الخوارق»[43]. ويذكر العديد من الأمثلة كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[44] حيث يقول: «إن الرعد والبرق آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكّلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه، ثم إنّ الحكمة الإلهية ربطت الأسباب بالمسببات، فإذا تشكل السحاب من بخار الماء المنتشر في الهواء، صار قسم حامل للإلكتريك[45] المنفي، وقسم حامل للإلكتريك المثبت، فحين يتقاربان؛ يتصادمان دفعة فيتولّد البرق، ثمّ بالهجوم والانقلاع دفعة، وامتلاء موضع بآخر لعدم الخلو يهتز وتتموّج الطبقات فيتولّد صدى الرعد، ولا تجري هذه الحالات إلاّ تحت نظام وقانون يمثلهما ملك الرعد والبرق»[46].

وفي تفسير الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[47]. يقول النورسي: «ثم إني نظرا إلى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[48] ومستندا إلى التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يعلّمك بإشاراته

ورموزه، لأفهم من أستاذية إعجاز القرآن، في قصص الأنبياء ومعجزاتهم: التشويق والتشجيع للبشر على التوسّل، للوصول إلى أشباهها، كأنّ القرآن بتلك القصص يضع أصبعه على الخطوط الأساسية، ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر، للترقي في الاستقبال، الذي يبنى على مؤسسات الماضي، الذي هو مرآة المستقبل»[49].

هذا، ويبين النورسي أنّ القرآن الكريم أشار إشارة خفية إلى طلب العلم، تشجيعا منه إلى البحث عن أشباه الخوارق من الصناعات التي لم تكن موجودة من قبل وأوجدها العلم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[50] إشارة إلى علم الطيران وبعدها اكتشف الإنسان الطائرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[51] إشارة إلى التقدم في علم الطب والوراثة والجينات واكتشافات الطب الحديثة.

3. 7. الإعجاز النفسي:

لقد ذكر النورسي أنّ وقع القرآن على النفوس، حتى بالنسبة للذين لا يعرفون العربية وقع خاص ذو أبعاد نفسية متميزة. وأشار للإعجاز النفسي بعض العلماء مثل الخطابي الذي أشار إليه إشارة صريحة قائلا: «في القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلاّ الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن المهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر لها النفوس، وتنشرح له الصدور»[52]. كما أشار إليه ابن القيم الجوزية في قوله: «إعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة، وما يملأ القلوب عند تلاوته من الهيبة، وما يلحقها من الخشية، سواء كانت فاهمة أو عالمة بما يحتويه أو كافرة بما جاء به أو مؤمنة لذلك قال صلى الله عليه وسلّم: " إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان" »[53].

وقد عنون السيوطي هذا الوجه من الإعجاز بعنوان: «الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه»[54]، بدليل قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[55]. وقد ذهب الكثير من العلماء في العصر الحديث إلى تسميته بأسماء أخرى مثل سحر القرآن أو التصوير الفني عند السيد قطب، أما الشعراوي فيرى أنّ الإعجاز النفسي يتمثل في تمزيق القرآن حواجب غيب النفس[56].

أما الأستاذ النورسي فقد لمّح إلى هذا الوجه وأدخله في لون آخر من ألوان الإعجاز وهو التكرار، يقول النورسي: «اعلم أنه كلّما كان القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلّما تكرر تلألأ، وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه»[57]، كما يتحدث في موضع آخر عن القرآن بأنّ سماعه «لا يورث سأما ولا مللا، بل يزيد لذة وحلاوة، ثم إنّه لا يثقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه، ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال الذي يتأذى من أدنى كلام بل يتلذذ به، وكأنه الشراب العذب في فم المحتضر الذي يتقلب في السكرات، وهو لذيذ في أذنه ودماغه لذّة ماء زمزم في فمه»[58]

3. 8. الإعجاز في التكرار:

التكرار هو «الإتيان بالشيء مرة بعد أخرى»[59]، وقد ذكره السيوطي ضمن أنواع الإطناب وأنّه أبلغ من التوكيد، وهو من محاسن الفصاحة وله فوائد منها: التقرير والتأكيد وتطرية الكلام وتجديد لعهده، والتعظيم والتهويل[60].

وقد تناول النورسي التكرار من زاوية نفسية وروحية، وجعله ردّا على المستشرقين الذين يرون في التكرار خللا بلاغيا، ونقصا جماليا، بل جعله وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فبيّن أنواعه والحكمة منه. لقد فسّر النورسي ورود التكرار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بفلسفة تجدد اللذة الروحية إذ يقول: «إن قلت: إنّ في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرارا كثيرا في الظاهر كالبسملة وفي "بأي آلاء". . . فكما أن في غذاء الانسان ما هو قوت كلّما تكرر حلا وكان آنس، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكاروغذاء للأرواح كلما استعيد استحسن واستأنس بمألوفه كضياء الشمس، وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلوّن لباسه»[61]. ويشترط النورسي لحصول اللذة المتجددة في التكرارهافة الحس، ورقة الذوق.

ويبين النورسي الحكمة من التكرار فيقول: «إن القرآن الكريم يظهر نوعا من إعجازه البديع أيضا في تكراره البديع البليغ لجملة واحدة، أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقتضى التكرار، حيث إنّه كتاب دعاء ودعوة، وكتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كرر في القرآن الكريم إذا من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة»[62].

ويمثل النورسي ببعض الآيات والجمل المكررة في القرآن الكريم ليبين من خلالها أنّ التكرار وجه من وجوه الإعجاز، على سبيل المثال "بسم الله الرحمن الرحيم" تكررت مئة وأربع عشرة مرة لأنها حقيقة كبرى، وما من أحد إلاّ وهو بحاجة إلى هذه الحقيقة كل حين فهي كالهواء الذي نتنفسه كل ثانية[63]

فهو يرى أنّ البسملة جملة عظيمة المحتوى، غزيرة المعنى، يمكن للمتأمل فيها أن يستنبط مقامات وأحكام ومقاصد كثيرة، فالحاجة إليها ماسة وقائمة مهما تكررت، وفي قوله عز وجل: " بأي آلاء " و"يومئذ" يقول النورسي: «تصرخ كل منهما في وجه العصور وتعلن إعلانه صريحا في أقطار السماوات والأرض أنّ كفر الجن والإنس وجحودهم النعم الإلهية يثير غضب الكائنات، ويجعل الأرض والسماوات في غيظ عليهم، ويخل بحكمة خلق العام والقصد منه، ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها ولذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف المسائل وقوتها ولو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الإنس والجن لكانت الضرورة قائمة والحاجة إليها مازالت موجودة، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة»[64]. فسورة الرحمن تتميّز إذن بتكرار"بأي آلاء ربكما تكذبان" بعد كل آية أو آيتين وسورة المرسلات بورود "يومئذ" بعد كل قصة، لأنّ التكرار في القرآن له عدة أغراض منها البلاغية ومنها الإعجازية، وهو ضروري لتجدد المعاني وتوليد العبر.

3. 9. الإعجاز في الحروف المقطعة:

تسع وعشرون سورة من سور القرآن تبدأ بحروف مقطعة، تدل دلالة على أن هذا الكتاب السماوي، بعظمته وأهميته التي حيّرت فصحاء العرب وغيرهم، فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يخفى على أحد، فخالق الكون تحدّى بهذا الكتاب الجن والإنس ليأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، لكنهم عجزوا، وتلك دلالة على أن هذا الكتاب لم يصدر عن فكر بشر. واختلفت الآراء حول تفسير الحروف المقطعة قديما وحديثا:

الرأي الأول: يرى أنّ هذه الحروف ذكرت لبيان إعجاز القرآن الكريم، وأن الخلق عاجزون عن معارضته مع أنه مركب من الحروف التي يتخاطبون بها.

الوجه الثاني: يرى أن هذه الحروف دالة على إثبات النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلّم، كما قال عز وجل: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾[65]

الوجه الثالث: يرى أنّ كل حرف يدل على اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته.

الوجه الرابع: يرى أن هذه الحروف جاءت أسماء للسور التي وقعت فيها.

الوجه الخامس: يرى أنها من ألفاظ القسم، أقسم الله عز وجل بها لشرفها، وقد جعلها النورسي إشارات لا يحدها زمان ولا مكان، وأنها ستظل تحيّر القلوب وتسحر الألباب إلى قيام الساعة، إذ أنها صادرة عن الذات الإلهية، فكان لها ذلك الأثر العظيم، يقول النورسي: «اعلم أن ﴿ آلم﴾ كقرع العصا يوقظ السامع ويهز عطفه بأنه بغرابته طليعة غريب عجيب»[66]. ويقول كذلك: « فهذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبين خمسا أو ستا من أسرار لمعات إعجاز أخرى»[67].

5. خاتمة:

لقد انتهج النورسي منهجا علميا في بيان الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، معتمدا على نظرية النظم التي قدّمها الجرجاني، وحاول تطبيقها في تفسير آيات القرآن، فبيّن أنّ نظم القرآن مرتبط بنظم المقاصد الأساسية للقرآن وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، والعدالة، فنظم المعاني ملازم لنظم المقاصد عنده. ويرجع ذلك إلى إتقانه علوم اللغة نحوا وصرفا، فقها وبلاغة، وتعمقه في فهم القرآن الكريم نظما وفكرا وتوجيها وتشريعا حسب متطلبات عصره، وتتجلّى في منهجه مسحة تجديدية يمكن تلخيص مظاهرها فيما يلي:

* تعريفه للقرآن الكريم وفهمه الثاقب لحقائقه ومقاصده، وتعريفه لماهيات الموجودات.
* تذوقه الإعجاز القرآني عن طريق الانتقال الذهني والتخيلي إلى بيئة نزول الوحي واستقرائها.
* ذكره لوجوه جديدة للإعجاز من حيث جامعية القرآن الخارقة في لفظه وأسلوبه ومباحثه.
* الإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي حيث بيّن النورسي موافقة العلم للدين، وما بينهما من تكامل.
* توضيحه للتكرار كوجه من وجوه الإعجاز وكذلك توسيعه لآفاق المناسبات القرآنية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مادة (ك ر ر).
- النورسي بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002.

- النورسي بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002
- ابن القيم الجوزية، الفوائد، تح: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط1
- 3 - أحمد محمد مفتي سالم صالح الوكيل، التشريع وسن القوانين في الدولة الإسلامية، جامعة الملك سعود، كلية العلوم الإدارية، مركز البحوث.
- الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ.
- الشعراوي محمد متولي، المعجزة القرآنية، دار الكتب والمكتبات.
- الخطابي إبراهيم بن الخطاب، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول، دار المعارف مصر، ط3.
- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002
- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002
- النورسي بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002.

- **8 . الهوامش:**

- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، تح إحسان قاسم الصالحي ،شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002، ص: 420. 1

2- الإسراء، 44.

3- الجن، 26.

4- الأنعام، 38.

- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تح: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، 5 مصر، 2002، ص: 39

6- المصدر نفسه، ص: 21

7- المصدر نفسه، ص: 115

8- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 11

9- النور، 43.

10- آل عمران، 36.

11- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 121.

12 - المصدر نفسه، ص: 175.

- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 423 13

14- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 22

15- الصف، 1.

16- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 435

17- آل عمران، 154.

18- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 437

19- الأنبياء، 323.

20- يس، 38 .

- النورسي بديع الزمان سعيد، المكتوبات، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002، ص: 43521.

22- الإسراء، 78.

23- تفسير الرازي، ص 26-277

24- الشعراء، 19.

25- النورسي بديع الزمان سعيد، اللمعات، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002، ص: 46.

26- العنكبوت، 48.

27- هود، 7.

- النورسي بديع الزمان سعيد، الشعاعات، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط3، مصر، 2002، ص: 18528

29- يونس 92.

30- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 461

31- المصدر نفسه، ص:420.

32- الإسراء، 44.

33- البقرة، 25.

- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 34.184

- أحمد محمد مفتي سالم صالح الوكيل، التشريع وسن القوانين في الدولة الإسلامية، جامعة الملك سعود، كلية العلوم الإدارية، مركز البحوث، ص: 5 35

- معجم المعاني الجامع، معجم اللغة العربية المعاصر، مادة فذلكة، شبكة المعلومات الدولية. 36

- الفواصل عند الرماني هي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني، وفيها بلاغة... والفواصل تابعة للمعاني، في كتابه النكت في إعجاز القرآن، ص: 97. 37

38- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 493.

39-البقرة، 29.

40- البقرة، 28.

41- البقرة، 24.

42 - سعاد يلدرم، الإعجاز العلمي للقرآن وآراء بن عاشور وسعيد النورسي، جامعة أتاتورك تركيا

43- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 237

44- البقرة، 17.

45- المقصود بالإلكتريك المنفي والمثبت : الكهرباء السالبة والموجبة، ينظر إشارات الإعجاز، ص: 237

46- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 135-137

47- البقرة، 31.

48- الأنعام، 59.

49- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 135.
50- سبأ، 12.
51- آل عمران، 49.
- الخطابي إبراهيم بن الخطاب، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول، دار المعارف مصر، ط3، ص 52 92.
53- ابن القيم الجوزية، الفوائد، تح: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، ص: 250.
54- السيوطي جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص: 182.
55- الزمر، 23.
56- الشعراوي محمد متولي، المعجزة القرآنية، دار الكتب والمكتبات، ص: 35.
57- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 37
58- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 435
59- الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415ه، ص:52
60- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مادة (ك ر ر)، ص: 12- 64
61- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 37
62- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 521
63- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 37
64- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 523
65- العنكبوت، 48.
- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: 40 66
67- النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: 430